مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الطّقوس الشّعبية الدّينية وممارساتها منطقة سيدي بلعباس أنموذجا

Religious folk rites and practices in the Sidi Bel Abbas region as a mode

حملات بن عتو [1] *

[1] جامعة تلمسان –الجزائر–

hamlatmouad@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/16 تاريخ القبول: 2021/04/03

ملخص:

تحتلّ الطّقوس أهمية كبيرة في العلوم الاجتماعية بحيث جلبت انتباه الكثير من الباحثين والباحثات فقاموا بدراستها من مختلف الجوانب الاجتماعية منها والنفسية والأنثروبولوجية، فللطّقوس الدّينية تأثير قويّ على نفسية الإنسان ،بحيث

.تعتبر وسيلة ضدّ الأمراض النّفسية التي قد يتعرّض لها الإنسان كالكآبة والانهيارات العصبية والقلق وغيرها

كما أنّ الطّقوس تلعب أيضادورا فعّالا وقويّا داخل المجتمع بحيث تؤدّي إلى استمراره واستقراره،فهي تعمل على بناء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد التي تتمثّل في التّعاون و التّضامن و التّسامح .

وقد أثبت مجتمع الدّراسة المتمثّل في منطقة سيدي بلعباس أنّه حافظ على العادات والتّقاليد وعلى القيم الثّقافية ،وذلك من خلال ممارساته لهذه الطّقوس كاللّجوء الى الأضرحة ،وكان الهدف من هذه الدّراسة هو رصد أساليب ممارسة الطّقوس الدّينية ،و التّعرّف على طبيعة العادات والتّقاليد الثّقافية.

الكلمات الدالة: الدّين، الأنتروبولوجيا،الممارسة،الطّقوس، الأساليب.

Abstract:

Rituals occupy a great importance in the social sciences as they have attracted the attention of many researchers and researchers, who have studied them from various social, psychological and anthropological aspects. Religious rituals have a strong influence on the human psyche, so that It is considered as a means against mental illnesses that a person may be exposed to, such as depression, nervous breakdowns, anxiety and others

* **المؤلف المرسل**: حملات بن عتو، **الايميل**:hamlatmouad@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Rituals also play an effective and powerful role within society, leading to its continuation and stability, as it works to build social relationships between individuals that are represented in cooperation, solidarity and tolerance. The study community, represented in the Sidi Bel Abbas region, has proven that it has preserved customs, traditions and cultural values, through its practices of these rituals such as resorting to shrines, and the aim of this study was to monitor the methods of practicing religio(us rituals, and to identify the nature of cultural customs and traditions.

Keywords: Religion; anthropology; practice; rituals; methods

مقدمة:

الطّقوس هي مجموعة من الإجراءات التي يؤديها بعض الأشخاص، والتي تُقام أساسًا لقيمتها الرمزية. وقد يحدد تلك الطقوس أو المراسم تراث الجماعة المشتركة، بما في ذلك المجتمعات الدينية. ويشير المصطلح عامةً إلى مجموعة الأفعال الثابتة والمرتبة، وقد تقام الطقوس في بعض المناسبات الخاصة، أو تحت طلب الأفراد أو المجتمعات. وقد يؤدي الطقوس شخصٌ واحدٌ، أو مجموعة من الأشخاص، أو مجتمعٌ بأكمله؛ في أماكن محددة، أو في أماكن محجوزة مخصصًا لذلك سواء في الأماكن العامة، أو الخاصة، أو من قبل أشخاص معينين. وقد تقتصر الطقوس على جزء معين من المجتمع

أو قد تجتاز الطريق بين المؤسسات الدينية والمؤسسات المجتمعية،هناك نظرية عن الطقوس تنص بأن القاعدة الأساسية للطقوس هي تطبيق القيم الطقوسية على الأشياء والحوادث والمناسبات التي يمكن اعتبارها بمثابة الأهداف ذات المصالح المشتركة التي تربط أعضاء المجتمع الواحد أو تمثل تمثيلاً رمزياً جميع الأشياء التي تستند على تأثير السلوك الرمزي بأنواعه المتعددة،وتقام الطقوس للعديد من الأغراض، مثل: المناسبات الدينية، أو لإشباع بعض الحاجات الروحية والعاطفية للمؤدين، أو لتعزيز الروابط الاجتماعية، أو لبعض أغراض التربية المجتمعية والأخلاقية، أو كدليل على الاحترام والطاعة أو دليل على انتماء الفرد، أو كمؤشر لبداية بعض الأحداث، أو قد تقام المراسم أحيانًا بهدف الترفيه فقط

تعتبر المراسم والطقوس بأنواعها المختلفة أحد سمات كل المجتمعات الإنسانية، سواء في الماضي أو الحاضر. ولا تقتصر الطقوس والمراسم على الأنواع المختلفة من طقوس العبادة، أو الأسرار المقدسة في بعض الأديان أو

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الطوائف فقط ولكنها تمتد أيضًا لتشمل طقوس العبور في بعض المجتمعات ، وطقوس التطهير، وقسم الولاء، ومراسم التتويج

أهداف الدّراسة

إنّ كلّ بحث علمي له الكثير من الأهداف الّتي يسعى إلى تحقيقها في النهاية و الّتي قد تكون انطلاقة لأبحاث ودراسات أخرى،و في دراستنا هذه عن الطّقوس الشّعبية الدّينية وممارستها الطبّ نهدف من خلالها ما يلي:

-رصدأساليب ممارسة الطّقوس الشّعبية الدّينية.

-التّعرّف على طبيعة العادات والتّقاليد الثّقافية المرتبطة بهذه الطّقوس الشّعبية الدّينية في منطقة سيدي بلعباس.

-رصد آراء أفراد العيّنة حول الطّقوس الشّعبية الدّينية.

إشكالية الدّراسة:

الممارسة الطقسية الدينية تتضمّن فعلا تواصليا يتم من خلاله إحياء تجربة مقدّسة تدرك دلالتها ضمن المنظومة المعتقدية الخاصّة بالجماعة. و يجد المنخرطون فيها ضربا من التوازن الوجداني الذي يمكن أن يفتقدوه في تجربتهم وحياتهم الجماعية اليومية. معنى هذا أنّ الممارسات الطقسية إنّما تتخذ وسيلة ناجعة لخوض تجربة وجدانية جماعية خاصّة يلوذ إليها الأفراد لملء فراغ ناجم عن خلل في تجربتهم الجماعية. فالانخراط في هذه الممارسات الطقوسية وخاصّة الدينية منها، شبيه بضرب من "العلاج" التطهيري فالطقوس أفعال تترجم عن حاجات وأفكار ماثلة في اللاشعور الجمعي.

وعليه فإنّ الثّقافة تهتمّ بالسّلوك الإنساني المتمثّل في العادات،والأمثال،و لقد عرفت منطقة سيدي بلعباس ممارسات للطّقوس الشّعبية الدّينية. ،ويمكن أن نلخّص مشكلة الدّراسة في المساءلة التّالية.

ماهي أساليب ممارسة الطّقوس الشّعبية الدّينية. والخاصّة بمنطقة سيدي بلعباس ؟

ومنه تنحدر لنا عدّة تساؤلات فرعية وهي كالآتي:

ماهي أنواع الطّقوس الشّعبية الدّينية في منطقة سيدي بلعباس ؟

ماهي وظائف هذه الطّقوس الشّعبية الدّينية في منطقة سيدي بلعباس ؟

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المنهج:

تماشيًا مع أهداف الدّراسة ومتطلباتها وجد الباحث ضرورة الاستعانة بأحد المداخل المنهجية التي تسهم في جمع وتحليل المادّة الميدانية وتنظيم خطوات العمل الميداني والّتي تمثّلت في المنهج الكيفي.(**رجب،إبراهيم عبد الرحمن ،1998 ، ص200**)

تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه: يعتبر تحديد المفاهيم من الأساسيات الضّرورية في تقديم البحوث العلمية والدراسات،حتى يتعرّف القارئ على المقصود من موضوع الدّراسة.

تعريف الطّقوس:نظرا لتعدّدوتنوع البحوث التي تناولت موضوع الطقوس ،فإنّ التّعاريف كانت أيضا متنوّعة تعكس إيديولوجيةكلّ باحث و ميدان تخصصه.

أصل الكلمة:"إن كلمة طقس» rite» تشتق من الكلمة الالتينية»ritus» وهي كلمة تعني عادات و تقاليد مجتمع معين ، كما تعني كل أنواع الحتفالات التي تستدعي معتقدا تتكون خارج اإلطار التجريبي " **(" toualbi nourdine.1984.p 35**

من خلال التّعريف نجد أنّ الطّقوس هي مجموعة الممارسات التي تتجلى في عادات وتقاليد مجتمع ما بحيث لاتميزه عن المجتمعات الأخرى ،كما أنها تتضمّن احتفالات متنوعةتكون لها علاقةمع المعتقد أي ' القوى فوق طبيعية'،وهنا تكون الاحتفالات كفعل و أسلوب يتعامل مع عالم المقدسات .

1–الطّقوس الدّينية : "التّعبير العملي للتّجربة الدّينية أو الاستجابة الكاملة للشّخص للحقيقة العليا التي تتّخذ شكل الفعل ،و يجب أن ننظر إلىا ملممارسة علىأنهافعل يقع في مكان وزمان وفي محتوى قد يتشكّل بظروف مختلفة . " (**بيومي محمد أحمد ، 1999 ،ص 309.**)تعتبر الطقوس أكثر عناصر الظّاهرة الدّينيةبروزا ،إنّها تعبير عن الجانب العملي،فهي عبارة عن نظام من الإشارات و الرّموز التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي بحيث تكون كانعكاس للمعتقد الجمعي فننتقل من التأمل إلى الحركة ومن التفكير في الأشياءالمقدسة إلى اتخاذ مواقف عملية منها فنتقرب منها أو نسترضيها أو نكف عن غضبها عنا ...وفي هذه الحالةفالطقس يلعب دورامهما فيإعادة خلق الإليمان بشكل دوري ،زيادة عن ذلك نجد أن الطقوس تختلف باختلاف المذاهب الدينية سواء في الهدف أوفي طريقةممارستهالاوسنضرب مثالين على ذلك ويتمثلان فيما يلي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المثال الأول : طقس الصيام

فالصيام عند أهل الكتاب مثال هو عبادة الغاية منها التقرب إلى الله و طلب الغفران منه"كصيام كيبور(**العربي رابح ، 1989، ص3**) "غروب الشمس إلى ظهور أول نجمة تظهر في سماءاليوم التالي . و"صيام شهر رمضان "وهو الإمساك عن جميع املفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .أما الصيام عند الوثنيين مثال في "الملايا" وهو شعب في أمريكا الجنوبية عندهم "شهر بوب "و الغاية من صومه تطهير ذنوب العام (**مصباح عبد الصمد،2006 ،ص 63**)

المثال الثّاني: طقس القربان

في الديانة المسيحية تمثل" الأضحية استرجاعا للحياة . "أما في الدّين الإسلامي يمثل عيد الأضحى إحياء للسنة الإبراهيمية (**طوالبي نورالدين الدين. 1988 .ص91**)

2– المعتقدات الشعبية الدّينية وطقوس ممارساتها

تعريف المعتقد:

المعتقدات جمع المعتقد و أصلها من " عـقـد : العـقد : نقيض الخل ، عقده عقدا " أي الجزم والقطع،و التّصـديق بدون شـكّ ، و 'اعتقد في الأمر أي صـدقه و عقد عليه قلبه،و ضـميره و تديّن به ، والمعتقد ما يعتقد الإنسان من أمور الدّين " . (**المنجد ، دار المشرق ، بيروت ، ص 517–518**.

و الاعتقادية يقابلها الوثوقية،أو القطعية،و التّوكيدية (Dogmatisme)وهي كلّ ما يدركه العقل للوصـــول إلى اليقين،و هي ضـــدّ الرّيبية (أي الشـــكّ) والانتقادية ، وقد يطلق لفظ "الوثوقي و التوّكيدي تحكما على من يعتصب الرّأي و يسلم به دون تحميس و يحاول فرضه على غيره دون برهان " . (**صليبيا جميل ، 1982 ص 92**.)

مصـطلح "المعتقد غالبا ما كان يقتصـر على مواضـيع الاعتقادات المفترضـة ، الآلهة ، الأرواح ، الأجداد الأقنعة ، السّحر " (**مصبح عبد الصمد ، 2006 ، ص862**)

لذلك كان ارتباط المعتقد بالفضاء الدّيني المقدّس ، فلا يوجد مجتمع بدون دين و بالتّالي لا يخلو مجتمع من منظومة معتقدات ، ولا تتخّذ المعتقدات طابع ديني في كلّ الأحوال ، فقد يرتبط بأمور واقعية ترتكز إلى حدّ ما على ثقافة وعادات وتقاليد المجتمع.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويعرف غينيوبير العقيدة " هي أقوال لاهوتية تفصـــح عن معتقدات بيئية ما في زمن ما وهذه المعتقدات تتعلق بأمور دينية سلمت بصحتها السلطات الروحية ، و أمرت بالقول بها كأنها منهج الحق " (**يوسف شلحت ، 2003 ، ص72**).

ومن المعتقدات ما تتخذ صـبغة دينية دون أن يكون لها نص ديني واضـح أو متفق عليه، فمن المعتقدات ذات الصـيغة الدينية في المجتمع الجزائري " ما تعلق منها ببعض القصـص لشـخصـيات تلبس هالة دينية أو تقـديســـيـة ، كـالأوليـاء الصـــالحين المرتبطـة بالكرامـات، والقبور والمزارات ". (**عزام أبو الحمـام ، 2008.ص62**)

وقد تختلف الآراء حول الأولياء في نفس المجتمع بين مؤيد ومعارض، فالدين الإسـلامي الصـحيح ينفي من اتّخاذ القبور مسـاجد و تشـييدها كمزارات وقصـور للتبرك بها والاسـتنجاد بها ،كما بينه الشـيخ أبو بكر جابر الجزائي أنه "ليس من التوسـل المشـروع نقل المرضـى إلى أضـرحة الأولياء، ولا العكوف حول تلك الأضرحة

و القبور و لا إقامة الحفلات والحضرات " ، (**أبو بكر جابر الجزائري ، 1995 ،ص 90**).

في المقابل و في المعتقد الشعبي فالأولياء الصالحون هم رجال مؤمنون يتميزون بالتقوى و الصلاح و التواضـع ، و " يظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية " ،(**محمد الجوهري 2006 ، ص176**).

المعتقد الشّعبي :

يطلق لفظ الشّعب على الجماعة الخاضعة لنظام اجتماعي واحد ، و على الجماعة التي تتكلم لغة واحدة وتدلّ صفة شعبي على كلّ ما له علاقة بالشّعب ، ويرد " بالشّعب العامّة من النّاس ،كأبناء الطّبقات الفقيرة من العمّال والفلّاحين ،و غيرهم "(**صيلبيا جميل ، 1982 ، ص 702.**)

والشّعبي هو " ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إما في شكله أو في مضمونه " ،(**سعيدي محمد 1998، ص 9.**)

أي المنسوب إلى الشّعب فنقول الثّقافة الشّعبية ، الجمهوريات الشّعبية ، و المعتقدات الشّعبية ، أي كلّ ممارسة أو فكر أو تنظيم عمل له علاقة مباشرة بالشّعب و يرى محمد الجوهري أن " المعتقدات الشّعبية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التي يؤمن بها الشّعب فيما يتعلّق بالعالم الخراجي والعام فوق الطبيعي " (**محمد الجوهري ، 1987 ص 46**.)

ويعرف فراس السياح المعتقد الشّعبي على أنّه "أوّل أشكال التّعبير الجمعية عن الخبرة الدّينية الفردية التي خرجت من حيز انفعالي عاطفي إلى الحيّز التّأملي الذّهني" ، (**فراس السواح ، 2002 ، ص 47**) .

فهو يرى أنّ المعتقد سببه حاجة سيكولوجية ماسّة تستقطب الإحساس بالمقدس ، وخلق شخصيات وقى معنوي، وهكذا تتكون علاقة بين الإنسان والمقدس. يتمثل الاعتقاد في الأولياء الصّالحين من خلال مجموعة من الأفكار الواضحة والتصورات المباشرة حول موضوع الأولياء الصالحين، سواء كانوا أحياء أو أموات حيث تعمل تلك الأفكار على رسم صورة ذهنية إلى صورة واقعية فإنه سيتحول إلى تراث شعبي حيّ في الذّاكرة الشّعبية حيث يتجسّد الاعتقاد في الأولياء كقطب رمز في رمزية الضريح كقطب واقع و معلم قدسي تترجم له الطقوس و الممارسات معنى قدسيته

3–المعتقدات الدّينية و الطّقوس :

وعرف جولكمان (1962) الطّقس بأنّه " أي تنظيم مركب للنّشاط الإنساني ليست له طبيعة فنية أو ترويجية بارزة ، ويتضمن استخدام أساليب السلوك التي تعتبر عن العلاقات الاجتماعية" (**فاروق مصطفى ، 1980، ص37**.)

لذلك نجد ليفي ستروس يقترح دراسة الطّقوس لذاتها و بذاتها و العمل على تحديد مواصفتها، فلم يقتصر البحث في هذا المجال عن مهمة الطقوس فقط ، بل اهتم باحثون مثل : م.غلوكمان وف.و.تورنر و ت.أ.بيدلمان في " البحث عن الطاقة التعبيرية والوظائف الاجتماعية و النفسية للطقوس " ، من خلال الإحاطة بخصوصيات الطقوس التي تقتضي " ترابط بين أفعال و أقوال وتصورات أعداد كبيرة من البشر على امتداد أجيال عديدة " (**محمد الجوهري ، 2008 ص 252**.)

الولي سيدي زواوي ومقامه

يقع ضريح الولي سيدي زواوي الشريف في جنوب مدينة بلعباس بحوالي 25كم عن المدينة، يقع الضريح في منطقة غابية ذات طبيعة خضراء متميزة بأشجارها ومساحاتها الخضراء الواسعة،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الزائر المتوجه إلى ضـريح سـيدي زواوي يتوقف الزوار قليلا ليمارسـوا طقوس الزيارة كإشـعال الشـموع، والتبرك بالتراب، وترك قطع من الأقمشـة المسـتعملة، وإشـعال البخور، في البدء لم يكن الضـريح مبنيا على شـكله الحالي وإنما كان عبارة عن حويطة كعلامة لوجود قبر رجل صـالح مدفون في المنطقة، ثم بنيت عليه قبة كقطب رمزي لقدسية الولي يحيط حول القبة سور قصير مشكلا فناء ليرتاح فيه الزوار

أما الكرامة الباقية حتى بعد وفاة الولي، فهي معروفة حسب المخبرين والمقدم وبعض الحالات من الزوار التي قابلناها في ميدان الدراسـة ، ، أن كل من يأتي إلى الضـريح للعلاج يجب عليه أن ينام داخل القبة حتى يرى المنام * ، ثم يسـتيقظ وقد شـفي من مرضـه وهنا نذكر بعض الحالات التي قابلناها في المنطقة كالآتي :

الحالة الأولى: امرأة تبلغ من العمر 40 عاما تقول : كنت أعاني من الصرع أصابني لما كنت في أدرس في المتوسـطة كنت لا أسـتطيع النوم خاصـة في فصـل الصـيف أرى في المنام أحلاما مزعجة ، كل مرّة أفقد الوعي حتّى أجد نفسي في مكان لا أعرفه و لا أعرف كيف وصلت إليه ، أرى الجن والشياطين أمامي لا يمكنني أن أعيش حياة طبيعية أراهم في المنام وفي اليقظة ، حتى جاء يوم أرى في المنام مقام سـيدي زواوي ، يأمرني أن أزوره لكي يشفيني فيقول لي "أرواحي زوريني أنا نداويك" حكيت القصة لوالدي ، فهو يعرف المكان جيدا،وذات صـباح ، توجّهنا إلى زيارة الضّـريح لما دخلت القبة نمت داخلها ، وبقينا في الضـريح يوما واحدا،حيث كنت أرى في المنام أنّ سـيدي زواوي يرقيني، فشـفيت وعادت لي حياتي الطبيعية، ومنذ ذلك اليوم لم أعد أشعر بالآلام والأحلام المزعجة ، ففي كل عام آتي لزيارة الولي عرفانا له بخدمته.

الحالة الثانية : وهي امرأة كانت داخل القبة جالسة بجانب ابنته يبلغ من لعمر 20 سنة يعاني من المس كان الولد نائما نوما عميقا فكانت المقابلة كالآتي : " ابني مريض يعاني المس عالجته بكل الطرق ولم يشف ف أحضرته إلى القبة، وكلّما دخل ها يغمى عليه وعندما يستيقظ يتحسن لودة طويلة،ثمّ يمرض وهذا ما دفعنيي لأعيد الزيارة.

تبين لنا من الحالات التي ذكرناها صـورة الولي في المخيال الشـعبي والتي تكون الاعتقاد على أن الغاية من زيارة ضـريح الولي هي البحث عن الشـفاء من المرض كما أن الولي عند سـكان المنطقة معروف بمعالجة المرض ، وفك السحر .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأضـرحـة :

الضّريح معلم قدسي طقوسيّ تتوفّر فيه معالم العظمة والهيبة والصّلاح ، له حرمة خاصّة عند المسلمين الطّرقيين ، خصوصا تلك الأضرحة التي تضمّ رفات المشايخ والعلماء الّذين اشتهروا وأسسّوا الطّرق الصّوفية والمذاهب الدّينية ، ممّا دفع المريدين والأتباع المواليين إلى الاهتمام بالأبنية المشيّدة على قبورهم والاعتناء بها.

نشأة الأضرحة :

الأضرحة في العالم :

يرى سـبنسـر H.spencer وقبله تايلور Taylor أن أقدم دين في الوجود هو الاعتقاد في الأرواح وعبادتها ،كان الإنسـان البدائي يعتقد أنّ أرواح الموتى تسـتمرّ بعد الموت ، ولها تأثير على حياة الأحياء وبالتّالي فهي السّبب في سعادة الأحياء أو شقائهم لذلك " على الإنسان أن يسعى لرضاها وطلب عونها والتّخلّص من غضبها وسخطها ولتفادي ذلك تسعى إلى تقديم القرابين لها وإقامة الحفلات لها **(هنية مفتاح، 1949 ، ص 37–38)**

هكذا نشـأت عبادة أرواح موتى الأسـلاف والآباء والأجداد ، فأقيمت المشـاهد والقباب على قبورهم واتّخذت منها آلهة ، لعبادتها وتقديسها وتقديم القرابين لها لكسب رضاها ونيل بركتها.

كان الإنسـان في العصـر الباليوليتي يدفن موتاه في المغارات والكهوف ، ومع تطوّر الحياة البشـرية وظهور الدّيانات والاعتقاد في أرواح الموتى ، وما لها من تأثير على حياة الأحياء،وتحقيق سعادتهم

أو شـقائهم ، ظهرت القبور في أشـكالها المختلفة من مربّعة و مسـتطيلة ودائرية وبيضـاوية الشّـكل أقيمت عليها المعابد وأصبحت أماكن مقدّسة في شكل معماري فنّي ، بطابع قدسي ، تختلف وضيفتها باختلاف الاعتقادات المرتبطة بالأساطير والتصوّرات حول شخصية الإنسان المدفون فيها.

لم تكن المعابد و الأضـرحة منذ الأزل تقام على قبور عامّة النّاس بل " من البديهي أن تؤثّر المنزلة الاجتماعية و الثّروة في تشييد أضرحة أصحابها" **(يوسف شلحت ، 2003 ، ص 60.)**

ظهر الإسلام آخر الأديان السّماوية و أكملها الدّاعي إلى التّوحيد الإلهي والنّاهي عن الشّرك

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

و الوثنية والجهل ، والخضـــوع إلى الله وحده عزّ وجلّ دون الحاجة لأيّ مخلوق آخر وكان ذلك منذ بداية الدّعوة الإسـلامية ، نهى الإسـلام على تعظيم القبور و البناء فوقها حتّى لا يتّخذها المسـلمون مكانا مقدّسا و لا يعتقد فيها إلى أن ظهر أوّل ضريح سنة 284 هـ/862 م ، وتعتبر أوّل قبّة في الإسلام

ولعلّ ظهور الأضـرحة وانتشـارها في العالم الإسـلامي له عوامل تاريخية،وثقافية،ومنه اتصـال المسـلمين بالحضارات الأخرى كالفرس،و الهندية،وغيرها نتيجة الفتوحات الإسلامية،وانتشار الإسلام عبر العالم فنتج عن تفاعل المسلمين مع غيرهم من الأجناس البشريّة،والحضارات الأخرى ممّا أثّر على البناء والعمارة الثّقافية الإسلامية ، أضف إلى ذلك التغيّرات السياسية والاقتصادية الّتي عاشها العالم الإسلامي في القرنين الثّانينو الثالث الهجري،و الصّراعات السياسية الدّاخلية والخارجية.

الأضرحة في العالم الإسلامي :

تطوّر العمارة الدّينية و انتشارها في العالم الإسلامي كان له دور كبير و فعّال في بناء القبب كرمز تذكاري يدلّ على قبور الشّخصيات الدّينية والسياسية والملوك والسّلاطين والصّلاح ، وذلك أنّ القبّة هي " عنصر معماري أريد به إظهار أهمية بعض أجزاء المسجد " **(سعاد ماهر ، 1999، ص 46)**

خاصّـة في العصـر الفاطمي الّذي شـهد تطور وازدهار الفنّ المعماري الإسـلامي،فكانت القبّة رمز الدّين الإسلامي ، وظيفتها إظهار أهمية الجزء العلوي وتغطية المساحات المربّعة.

تمثّل القبّة في الاعتقاد السّائد بين أهل الطّرق الإسلامية خاصّة الطّرق الصّوفية،والشّيعية أنّ كلّ قبّة تمثّل رمزا قدسيّا لشخصية دينية تتمثّل في وليّ من أولياء الله الصّالحين سواء كانت القبّة تضمّ عظام ذلك الوليّ المدفون في قبره داخل القبّة، أو مكان عبوره،أو جلوسه،و أصبحت القبّة معلما،و مزارا للتّبرّك،و الحجّ إليه وكسب رضاه وتأخذ القبّة اسم الشّخصية المدفونة في داخلها ، يطلق على القبّة مصطلح " قبّة سيدي فلان ".

ظهرت في بلاد الشّام الأضرحة،و المزارات المنسوبة على الأنبياء،و الأولياء العلماء و الأئمّة ، أقدم ضريح في الإسلام يوجد في مدينة سمرّاء العراقية،و هو معروف باسم الصّليبية أقيم في شهر ربيع الثّاني من سنة 284 هـ / 862 م ، وتعتبر أوّل قبّة في الإسلام .

(محمد عبد الجواد القاياتي ، 2000، ص 62)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أنواع الأضرحة :

يرجع الباحثين انتشار الأضرحة في المغرب العربي بظهور الحركات الصّوفية في هذه المنطقة، ولعلّ ذلك راجع إلى تعرّض المنطقة إلى الحرب و الفتوحات و قيام الدّول الإسلامية على اختلاف مذاهبها وما كان له من أثر على التحوّلات السياسية والاجتماعية الثّقافية .

تقوم عقيدة التصوّف في المغرب العربي،و منه الجزائر على تقديس الأولياء الصّالحين بصفة عامّة سواء كانوا مشايخ الزّوايا ، أو علماء الدّين ، أو رجال عاديين عرفوا بخوارق غير عادية في حياتهم ، تقوم عقيدة التصوّف على تقديسهم أحياء و أموات والتبرّك بأضرحتهم،و ما يحيط بها من تراب،و شجر،و جدران .

تشهد المناطق الجزائرية كغيرها من المناطق الإسلامية انتشارا مذهلا للأضرحة والقباب أغلبها لمشايخ الطّرق الصّوفية وعلماء و أئمة ، تنتشر الأضرحة في المناطق
الرّيفية والمدنية على حدّ سواء ، حيث يمكن تصنيف الأضرحة إلى أضرحة شعبية
و أضرحة سلطانية ، حسب المعالم التّاريخية ، والثّقافية و البيئيّة الاجتماعية للوليّ الصّالح.

الأضرحة الشّعبية :

نقصد بمصطلح الشّعبية "كلّ ممارسة مادّية كانت،أو معنوية متّصلة اتّصالا عضويا بالشّعب، سواء أكانت من إنتاج و إبداع الشّعب،أو منتجة،و موجّهة للشّعب " (**سعيدي محمد ، 1995 ، ص 5.**)

والأضرحة الشّعبية هي الأضرحة الّتي تضمّ رفات وليّ من الأولياء الّذي لا يعرف عنه شيء ، فقط ما يحتفظ له مخزون الذّاكرة الشّعبية بحكايات

و الأساطير الّتي نسجها المخيال الشّعبي وتسند له خوارق ، لا يعرفه إلّا سكّان المنطقة الّتي عاش فيها أو تعلّم بها،أو مر بها،أو جلس فيها فأنشؤوا له ضريحا إكراما و إجلالا له لما ظهر عليه من كرامات،وعمل صالح في حياته ، والتبرّك به وطلب رضاه .

هذا النّوع من الأضرحة يظهر في العديد من المناطق الرّيفية والمدنيّة فلا تخلو قرية أو مدينة من ضريح أو أكثر ، وتكثر الأضرحة الشّعبية في المناطق الرّيفية أكثر و تتموقع أغلبها خارج المدن و التجمّعات البشرية،و لعلّ ذلك يدلّ على خصوبة الحياة الصّوفية في الجزائر والّتي من شروط التصوّف،و كسب الولاية الزّهد و الخلوة حتّى يتفرغ الوليّ للعبادة و يهب نفسه لربّه،و يبتعد عن الدّنيا وما يشغله بها

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4- وظائف الطقوس الدّينية :توجد العديد من املقاربات الوظيفية التي بحثت عن حقيقة الطقوس ودورها في حياةالأفراد، بحيث تعكس هذه الملقاربات توجه كلّ باحث ، وهذا ما يشير الى تعدّد و تنوّع الوظائف،و الأدوار و هي كاآلتي:

الوظائف النفسية للطقوس: للطّقوس الدّينيةدورفعّال ذوتأثيرقويّ على نفسيةالإنسان ، بحيث تغرس فيه أشياء تسمح له بالتّأقلم مع بيئته وتكون له كوسيلة للدّفاع لما يتعرّض له من مواقف ومشاكل، و تتمثل هذه الوظائف فيما يلي :**وظيفة الضّبط و التحكّم**: يعيش الإنسان في عالم يكتنفه الغموض والهيمنة، بحيث يتولّد لديه شوق اكتشاف حقيقة الأشياء و حقيقة وجوده، فتطرأ في ذهنه عدة تساؤالات:من أنا؟مامصيري في هذه الحياة؟ هل هناك حياة ثانية بعد الموت ؟من خالق هذا الكون ؟وكيف يسير هذا الكون ؟فجعل له حقيقة تقوده في آخر امطاف الشعوربالقلق، ولتخطي هذا الشعور أو التّخفيف من حدّته يلجأ الإنسان إلى الطّقوس لتهدئة اضطراباته و انفعاالته،وفي هذا الصّدد نجد j. cazaneuve يشير إلى أنّ الطّقوس" بمختلف بدائلها السحرية(**cazaneuve jean. 1971. P 143**)

أو التّطهيرية فهي ذات اتجاه واحد في كلّ وظائفها بحيث لها نفس الهدف و هو إعادة التّوازن الداخلي للإنسان الذي يمزّقه اتّصاله مع تقلّبات العالم الخارجي الجوع و العطش ، ...الخ وفي هذه الحالة نجد أن الطقوس الدينية تغرس في نفوس الأفراد أحاسيس ،و عواطف حميدة ذات نزعة تفاؤلية تتضمن الحب ألمل ،الراحة ، الرأفة و الطمأنينة و تبعده عن كل مظاهر الغضب و االنفعال و في هذا السياق نجد الباحث مالينوفسكي يشير في قوله : " أن وظيفة الطقوس تكمن في أنها تطمئن الأفراد وتمنحهم الشّجاعة لواجهة الصّعوبات (**martine Segalen. 2001.p63**)

الوظائف الجتماعية للطقوس :تقوم الطّقوس عامة و الدينية خاصة بوظائف متنوعة و متعدّدة على الاجتماعي و الثّقافي و هي كاآلتي : **وظيفة الاتّصال**:لقد أشار العديد من الباحثين أمثال .Segalen Durkheim. rivière. C و M. إلى أن أهم وظيفة تقوم بها الطقوس هي وظيفة الاتّصال فبواسطتها يتّصل الأفراد معبعضهم البعض بحيث تنشأ بينهم عالقات تفاعلية تجعلهم وحدة متكاملة

و متداخلة ، وبهذا فالطقوس تعمل على تقوية و تنويع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد التي تتلخص في التعاون و التّضامن و التسامح و التوافق .فالطقوس هي عنصر من العناصر املؤدية للرباط االجتماعي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

و في هذا المعنى تصبح الطّقوس تعبر عن الهوية الدينية و الثقافية ملجتمع ما، فبواسطتها نتعرف على ثقافة المجتمعات و بالتّالي التنبّؤ و توقّع سلوكات أفرادها وهذا ما أشار إليه T.Victor عند دراسته 20 للطّقوس في الملناطق الإفريقية في قوله: "إنّ الطّقوس تعتبر مفتاح، فمن خلاله نفهم جوهر أو بنية المجتمعات "

وظيفة الضبط و التنظيم الإجتماعيين : تحتاج الحياة الإجتماعية لنظام يضبط سلوكات أفرادها و يحدد العلاقة فيما بينهم .ويتمثّل هذا النّظام في الطقس باعتباره ميكانيزم وقوّةضابطةيمارسها الأفرادفي أوقات معيّنة قد تكون يومية ، أسبوعية ،شهرية،موسمية، سنوية.فالطقوس تقوم بتحديد نطاق السلوك المرغوب فيه داخل المجتمع أي التّمييز بين السّلوك الجيّد من السيّئ و الحلال من الحرام ، الفضيلة من الرذيلة الخير من الشر و غيرها من السّلوكات . (**بيومي محمد أحمد ،1999 ،ص 78**)

يتّضح ممّا سبق ذكره ، أنّ الطّقوس تعمل على تنظيم و ضبط سلوكات الأفرادمن أجل ضمان سلامة البنيان الإجتماعي و المحافظة على أوضاعه ونظمه

الصورة 1: ضريح الولي سيدي زواوي

المصدر:https://www.pinterest.com/pin/478507529135287547

تحليل النّتائج

لقد تبين لنا من خلال تحليل المحتوى ى أنّ سكان مجتمع الدّراسة يحافظون على العادات والتّقاليد وعلى القيم الثقافية التي يعتقدونها أفراد مجتمعهم حول ممارسة الطّقوس الدّينية التي تمثّلت في التوجّه نحو زيارة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأضرحة لأنهم ينظرون إليها كمساعد لهم في التّخفيف عن الآلام التي يعانون منها ،وقد وجدوا نتائج قيّمة وذلك بتصريح من المرضى حيث كانوا ينامون داخل الضّريح

خاتمة:

رسخت في الاعتقاد الشّعبي فكرة أنذ الأولياء هم الواسطة بين الإنسان وخالقه، كما يعترف المعتقد الشّعبي للأولياء بسلطان لا حدود له، ويضفي عليهم بعض الصفات المعجزة الخارقة للطبيعة، والاعتقاد في الأولياء يشغل مساحة كبيرة لدى الجماعات الشعبية، فالأولياء يجسدون أحلام وآلام واحتياجات هذه الجماعات في مختلف العصور،و بالرّغم من تنوع و تباين الطّقوس الدّينية والطقوس الدنيوية من مجتمع إلى آلخر ومن ثقافة إلى ألخرى إلى أنّ لها نفس الأهمية عند جميع المجتمعات الإسالاميةمنها و اليهودية و المسيحية و البوذية ،...الخ وذلك انطالقا من الوظائف التي تقوم بها—

. وظيفة عالجية:فالطقوس هي أداةتستعمل ضد الأمرا ض النفسية التي يتعرض لها الإنسان كالكآبة و الإنهيارات العصبية

. وظيفة دفاعية : وسيلةضد القلق والخوف اللذان يلزمان الإلنسان.

. وظيفة تطهيرية : تقوم الطقوس بتغيير أحاسيس

و انفعالات الأفراد من الأسوأ إلى الأحسن مثال (من الحزن إلى ا لفرح، من اليأس إلى الأمل

قائمة المراجع:

1. أبو الحمام عزام ،(2008) ،الفولكلور والترات الشعبي المطور ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن
2. أبو بكر جابر الجزائري ، (1995)عقيدة المؤمن، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينة المنورة
3. بيومي محمد أحمد ،(1999)،علم الجتماع الدّيني،دارالمعرفةالجامعية. الأسكندرية.
4. جميل صليبيا ، (1982)،المعجم الفلسفي ، دار الكتاب البناني ، بيروت.
5. رابح العربي ، (1989)،فلسفة الصيام. ديوان املطبوعات الجامعية الجزائر .
6. رجب،إبراهيم عبد الرحمن،(1998)،مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب،الرياض
7. سعيدي محمد، (1998)،الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1998.
8. سعيدي محمد، (1995) من أجل تحديد الإطار المعرفي و الاجتماعي للمعتقدات و الخرافات الشعبي ، مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية ، مصر.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

9. طوالبي نورالدين ، الدين و الطقوس،(1988)، ديوان املطبوعات الجامعية، في الجزائر .
10. فاروق مصطفى، (1980) الموالد – دراسة للعادات و التقاليد الشعبية في مصر – ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر.
11. فراس السواح ،(2002)،دين الإنسان، دار علاء الدين، سورية .
12. ماهر سعاد، (2000)، مساجد مصر و أوليائها الصالحين ، المطابع التجارية ، مص
13. محمد الجوهري، (1987)،الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، دار الكتاب ، القاهرة .
14. محمد الجوهري ، (2008)المفاهيم الأساسية في الأنتربولوجيا ، القاهرة
15. مصباح عبد الصمد، (2006)،معجم الأثنولوجيا و الأنثروبولوجيا .لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان.
16. هنية مفتاح، (1949) الفكر الديني القديم، دار الثقافة الإسكندرية
17.يوسف شلحت، (2003) ،نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ، دار الفرابي ، بيروت
18 .cazaneuve jean. (1971) Sosiologie du rite. paris . puf .
19. martine Segalen .(2001)ethnologie-concept et aires culturelle. Paris. Armand colin.
20. toualbi nourdine. Religion - rite et mutation .Alger. Entreprise